

يلتحم بدقة مع الظرف التاريخي التحامه بالشاعر ذاته حتى يظل جزءاً منه لا يكاد يتجزأ ، أو ينقسم عنه .

ولذا يبدو من الضرورة بمكان أن نتعرف على ما يخصنا من تجارب الشعراء وطبائع عصورهم ، وأذواق جمهورهم ، مع طبيعة الإدراك الأدبي لدلول المعارضة في البيئة الفكرية للشاعر قبل اقتحام منطقة الدرس الواعي لأصداء حس في حس آخر ، أو حتى في عبقرية أخرى ، أو إدراك ووجدان في إدراك ووجدان آخريْن ، بصرف النظر عن المساحات الزمنية التي قد يطول أمدها فتفصل بين الشعارين المتعارضين . وتبدو المكتبة العربية في حاجة إلى نماذج كثيرة من أشباه هذا الدرس الذي لا يمكن أن يفى بها مثل هذا البحث ، ولا يستطيع الباحث ادعاء ذلك أو الوفاء به ، بل يظل مجرد محاولة لاستكشاف الطريق الذي سبقت به إليه محاولات أخرى يسهل تلمسها في دراسة الدكتور زكي مبارك في الموازنة بين الشعراء ، وإن كان الأمر مازال في حاجة إلى معاودة درس بعيدا عن ذوبان الناقد في شعر هذا الشاعر أو ذاك ، أو تحويل القضية إلى عرض لانطباعات الناقد إزاء ما يقرأ ، أو على حد تعبير الدكتور زكي نفسه في نسيان الناقد لنفسه وشخصيته وتعامله بحواس الشاعر ، موضوع درسه ، وتأمل خطرات النفس ولفئات القلب لدى كل شاعر^(١) .

فلعل هذه المحاولة تعد خطوة أخرى على الطريق تتلمس الجديد في الأبعاد المجهولة بمحاولة استكشاف عنقايد الصور وعناصر المعارضة من خلال درس تحليلي موضوعي لأوجه الالتقاء أو التباعد بين الشاعرَيْن ، وتفسير الظاهرة طبقا لمقاييس الإبداع المختلفة ، وكذا لتجانس التجارب عبر تنوع حركة العصر الأدبي ذاته .

من هنا يحسن أن تظل دراسة الدكتور زكي مبارك بمنأى عن هذا الدرس التحليلي ، أو - بمعنى أدق - أن يظل هذا الدرس بعيدا عن منهجها ، لعله بذلك يضيف إليها بعدا خاصاً ، أو أبعادا جديدة تستحق التسجيل ، إلا قَدَّ الدرس أهم خصائصه في ارتياد موضوع سبق إليه ، فبدا له معارضا أو منه مقتبسا ، وأحسب أن باحثا لا يستريح إلى هذا في بحثه ولا يجب أن يقنع به مبررا لدراسته ، بل تظل الرغبة في الدرس دافعا إلى ارتياد الطريق من خلال دليل متميز تفرضه عليه طبيعة المادة من خلال دواوين الشعراء معروضة على المفاهيم النقدية

(١) الموازنة بين الشعراء (زكي مبارك) .